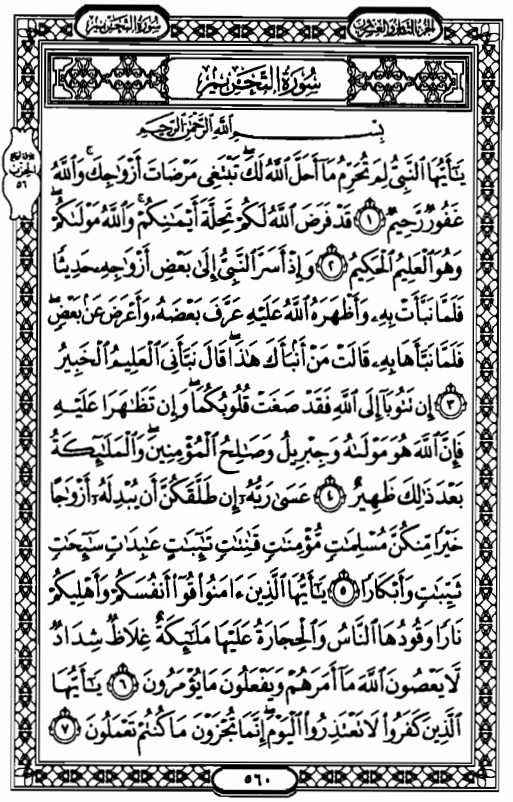
سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ
وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا
فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ
﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا
خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ
ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

٥٦٠

سورة التحريم

معنى الكلمات :

تبتغى : تطلب .

تحلة أيمانكم : تحليلها بالكفارة .

مولاكم : ناصركم ومتولى أموركم .

نبأت به : أخبرت به غيرها .

أظهره الله : أطلعه الله عليه .

صغت قلوبكما: مالت عن حقه ﷺ عليكما .

تظاهرا عليه : تتعاونا عليه بما يسوءه .

غلاظ شداد : قساة أقوياء وهم الزبانية .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن التحليل والتحريم لا يكون بالهوى ولكن بالشرع .

٢ ـ أن نعلم كرامة الرسول ﷺ على ربه .

٣ ـ أن نستشعر خطورة المسؤولية الموكولة إلينا .

المحتوى التربوى :

تبدأ السورة بعتاب من الله سبحانه لرسوله ﷺ ؛ إذ حرم جاريته مارية ترضية ، وذلك أنه ﷺ خلا بها فى بيت إحدى نسائه فاطلعت عليه ، فقالت : يا رسول ، فى بيتى وعلى فراشى ، فجعل مارية عليه حراما ترضية لصاحبة الحجرة والفراش ، وهذا العتاب مؤثر موح ، فما يجوز أن يحرم المؤمن على نفسه ما أحله الله له من متاع ، والرسول ﷺ لم يكن حرم العسل أو مارية بمعنى التحريم الشرعى ، إنما كان قد قرر حرمان نفسه ، فجعل هذا العتاب يوحى بأن ما جعله الله حلالا فلا يجوز حرمان النفس منه عمداً وقصداً إرضاء لأحد ، والتعقيب يوحى بأن هذا الحرمان من شأنه أن يستوجب المؤاخذة ، وأن تتداركه مغفرة الله ورحمته .

فأما اليمين التى يوحى النص بأن الرسول ﷺ قد حلفها ، فقد فرض الله تحلتها أى كفارتها التى يحل منها ، ما دامت فى غير معروف والعدول عنها أولى ، والله يعينكم على ضعفكم وعلى ما يشق عليكم ، ومن ثم فرض تحلة الأيمان للخروج من العنت والمشقة ، وهو يشرع لكم عن علم وعن حكمة ، ويأمركم بما يناسب طاقتكم وما يصلح لكم ، فلا تحرموا إلا ما حرم ولا تحلوا غير ما أحل .

ثم يشير إلى الحديث ولا يذكر موضوعه ولا تفصيله ؛ لأن موضوعه ليس هو المهم ، وليس هو العنصر الباقى فيه ، إنما العنصر الباقى هو دلالته وآثاره ، ومن النص نطلع على نموذج من تلك الفترة العجيبة فى تاريخ البشرية ، الفترة التى يعيش فيها الناس مع السماء ، والسماء تتدخل فى أمرهم علانية وتفصيلا ، ونعلم أن الله قد أطلع نبيه على ما دار بين زوجيه بشأن ذلك الحديث الذى أسره إلى بعض أزواجه ، وأنه ﷺ حين راجعها فيه اكتفى بالإشارة إلى جانب منه ، وأنه أنبأها بمصدر علمه وهو المصدر الأصيل ، وهو الله صاحب العلم والخبرة .

ويتغير السياق من الحكاية عن حادث وقع إلى مواجهة وخطاب للمرأتين كأن الأمر حاضر ، وحين تتجاوز صدر الخطاب ، ودعوتهما إلى التوبة ؛ لتعود قلوبهما فتميل إلى الله ، فقد بعدت عنه بما كان منها حين تتجاوز هذه الدعوة إلى التوبة نجد حملة ضخمة هائلة وتهديدًا رعيبا مخيفا ، ومن هذه الحملة الضخمة الهائلة ندرك عمق الحادث وأثره فى قلب رسول الله ﷺ حتى احتاج الأمر إلى إعلان موالاة الله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وأعوان له ، ليطيب خاطر الرسول ﷺ ويحس بالطمأنينة والراحة من ذلك الأمر الخطير .

وكذلك دلالة الآية التالية وتفصيل صفات النساء اللواتى يمكن أن يبدل الله النبى بهن من أزواجه ولو طلقهن ، مع توجيه الخطاب للجميع فى معرض التهديد ، وهى الصفات التى يدعوهن إليها عن طريق الإيحاء والتلميح ، وهى الإسلام الذى تدل عليه الطاعة والقيام بأوامر الدين ، والإيمان الذى يغمر القلب ، وعنه ينبثق الإسلام حين يصح ويتكامل ، والقنوت وهو الطاعة القلبية ، والتوبة : هى الندم على ما وقع من معصية والاتجاه إلى الطاعة ، والعبادة وهى أداء الاتصال بالله والتعبير عن العبودية له ، والسياحة وهى التأمل والتدبر والتفكير فى إبداع الله والسياحة بالقلب فى ملكوته ، وهن ـ مع هذه الصفات ـ من الثيبات ومن الأبكار ، كما أن نساءه الحاضرات كان فيهن الثيب وفيهن البكر .

يقول صاحب الظلال : « فهذه صورة من الحياة البيتية لهذا الرجل الذى كان ينهض بإنشاء أمة وإقامة دولة على غير مثال معروف ، وعلى غير نسق مسبوق ، أمة تنهض بحمل أمانة العقيدة الإلهية فى صورتها الأخيرة ، وتنشئ فى الأرض مجتمعا ربانيا فى صورة واقعية يتأسى بها الناس ، وهى صورة من حياة إنسان كريم رفيع جليل عظيم ، يزاول إنسانيته فى الوقت الذى يزاول فيه

نبوته ، فلا تفترق هذه من تلك ؛ لأن القدر جرى بأن يكون بشراً رسولا ، حينما جرى بأن يحمله الرسالة الأخيرة للبشر أو منهج الحياة الأخير ، إنها الرسالة الكاملة يحملها الرسول الكامل » .

وفى ظلال هذا الحادث الذى كان وقعه عميقا فى نفوس المسلمين ، يهيب القرآن بالذين آمنوا ليؤدوا واجبهم فى بيوتهم من التربية والتوجيه والتذكير ، فيقوا أنفسهم وأهليهم من النار ، ويرسم لهم مشهداً من مشاهدها وحال الكفار عندها ، فتبعة المؤمن فى نفسه وفى أهله تبعة ثقيلة رهيبة ، فالنار هناك وهو متعرض لها وهو وأهله ، وعليه أن يحول دون نفسه وأهله ودون هذه النار التى تنتظر هناك ، إنها نار فظيعة مستعرة ، الناس فيها كالحجارة سواء ، فى مهانة الحجارة ، وفى رخص الحجارة وفى قذف الحجارة دون اعتبار ولا عناية .

وما أفظعها ناراً هذه التى توقد بالحجارة،و ما أشده عذابا هذا الذى يجمع إلى شدة اللذع المهانة والحجارة ، وكل ما بها وما يلابسها فظيع رهيب ، فعليها ملائكة طباعهم غليظة ، قد نزعت الرحمة من قلوبهم بالكافرين بالله ، تتناسب طبيعتهم مع طبيعة العذاب الذى هم به موكلون ، فتركيبهم فى غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج ، ومهما أمرهم الله بشىء يبادروا إليه فمن خصائصهم طاعة الله فيما يأمرهم،ومن خصائصهم كذلك القدرة على النهوض بما يأمرهم، وهم بغلظتهم هذه وشدتهم موكلون بهذه النار الشديدة الغليظة .

وعلى المؤمن أن يقى نفسه وأن يقى أهله من هذه النار ، وعليه أن يحول بينها وبينهم قبل أن تضيع الفرصة ولا ينفع الاعتذار ، فها هم أولاء الذين كفروا يعتذرون وهم عليها وقوف ، فلا يؤبه لاعتذارهم ، بل يجبهون بالتيئيس من قبول اعتذارهم فيقال لهم : لا تعتذروا فليس اليوم يوم الاعتذار ، إنما هو يوم الجزاء على ما كان من عمل فى الدنيا ، وقد عملتم ما تجزون عليه بهذه النار .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ حياة الرسول ﷺ الخاصة فى بيته ومع أسرته وحياته العامة مع الناس جميعا كتاب مفتوح لأمته وللعالم كله إلى يوم القيامة، يعرف الناس منها صورة العقيدة وتطبيقاتها الواقعية فى الحياة.

٢ ـ على المسلم أن يملك نفسه عند الغضب ، فلا يكثر من الحلف ولا يحرم على نفسه شيئا أحله الله له .

٣ ـ يجب على الزوجة المؤمنة أن تحافظ على سر زوجها ، وكذلك كل من يقوم بعمل ما عليه أن يحرص على أسرار عمله وأسرار من يعملون معه .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ
عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾
٥٦١

معانى الكلمات :

نصوحا : صادقة خالصة لا عودة بعدها للذنب .

أغلظ : شدد .

مأواهم : مستقرهم .

يغنيا : يدفعا .

نجنى : أنقذنى .

أحصنت : صانت .

روحنا : روحا من خلقنا .

القانتين : القوم المطيعين لربهم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم طريق الوقاية للنفس والأهل من النار .

٢ ـ أن نتعرف على مثل من نساء كافرات فى بيوت أنبياء .

٣ ـ أن نتعرف على مثل من نسا مؤمنات فى وسط الكافرين .

المحتوى التربوى :

فى ظلال الدعوة إلى التوبة التى وردت فى سياق الحادث يدعو الذين آمنوا إلى التوبة ، ويصور لهم الجنة التى تنتظر التائبين ، ثم يدعو النبى ﷺ إلى جهاد الكفار والمنافقين .

ويبين السياق كيف يقى المؤمنون أنفسهم وأهليهم هذه النار ، يبين لهم الطريق ، ويطمعهم بالرجاء ؛ فالطريق توبة نصوح ، توبة تنصح القلب وتخلصه ، ثم لا تغشه ولا تخدعه ، توبة عن الذنب والمعصية ، تبدأ بالندم على ما كان ، وتنتهى بالعمل الصالح والطاعة ، فهى عندئذ تنصح القلب فتخلصه من رواسب المعاصى وعكارها ، وتحضه على العمل الصالح بعدها ، فهذه هى التوبة النصوح ، التوبة التى تظل تذكر القلب بعدها وتنصحه فلا يعود إلى الذنوب . فإذا كانت

هذه التوبة فهى مرجوة إذن فى أن يكفر الله بها السيئات وأن يدخلهم الجنات ، فى اليوم الذى يخزى فيه الكفار ، ولا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ، وإنه لإغراء مطمع ، وتكريم عظيم أن يضم الله المؤمنين إلى النبى ﷺ ، فيجعلهم معه صفاً يتلقى الكرامة فى يوم الخزى ، ثم يجعل لهم نوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، نوراً يعرفون به فى ذلك اليوم الهائل المائج العصيب الرهيب ، ونوراً يهتدون به فى الزحام المريج ، ونوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم إلى الجنة فى نهاية المطاف .

وهم فى رهبة الموقف وشدته يلهمون الدعاء الصالح بين يدى الله ؛ بأن يتم لهم نورهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ، وإلهامهم هذا الدعاء فى هذا الموقف الذى يلجم الألسنة ويسقط القلوب ، هو علامة الاستجابة ، فما يلهم الله المؤمنين هذا الدعاء إلا وقد جرى قدره بأنه سيستجيب ، فالدعاء هنا نعمة يمنّ بها الله عليهم تضاف إلى منة الله بالتكريم وبالنور ، فأين هذا من النار التى وقودها الناس والحجارة ؟

يقول صاحب الظلال : « إن المؤمن مكلف بهداية أهله وإصلاح بيته ، كما هو مكلف بهداية نفسه وإصلاح قلبه ، إن الإسلام دين أسرة ... ومن ثم يقرر تبعة المؤمن فى أسرته ، وواجبه فى بيته ، والبيت المسلم هو نواة الجماعة المسلمة ، وهو الخلية التى يتألف منها ومن الخلايا الأخرى ذلك الجسم الحى ... المجتمع الإسلامى ، إن البيت الواحد قلعة من قلاع هذه العقيدة ، ولابد أن تكون القلعة متماسكة من داخلها حصينة فى ذاتها ، كل فرد فيها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها ..

وواجب المؤمن أن يتجه بالدعوة أول ما يتجه إلى بيته وأهله ، واجبه أن يؤمن هذه القلعة من داخلها، واجبه أ ن يسد الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً ، ولابد من الأم المسلمة ، فالأب المسلم وحده لا يكفى لتأمين القلعة، لابد من أب وأم ليقوما كذلك على الأبناء والبنات، فعبثا يحاول الرجل أن ينشئ المجتمع الإسلامى بمجموعة من الرجال ، لابد من النساء فى هذا المجتمع فهن الحارسات على النشء ، وهو بذور المستقبل وثماره » .

وإنها ضرورة وليست نافلة أن تقوم جماعة مسلمة ، تتواصى بالإسلام ، وتحتضن فكرته وأخلاقه وآدابه وتصوراته كلها، فتعيش بها فيما بينها ، وتعيش لها تحرسها وتحميها وتدعوا إليها، فى صورة واقعية يراها من يدعون إليها من المجتمع الجاهلى الضال ليخرجوا من الظلمات إلى النور بإذن الله ، إلى أن يأذن الله بهيمنة الإسلام ، حتى تنشأ الأجيال فى ظله ، وفى سبيل حماية الجماعة المسلمة الأولى كان الأمر لرسول الله ﷺ بمجاهدة أعدائها ، وهى لفتة لها معناها وقيمتها بعدما تقدم من أمر المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار ، لها قيمتها فى ضرورة حماية المحضن الذى تتم فيه الوقاية من النار ، وتجمع الآية بين الكفار والمنافقين فى الأمر بجهادهم

والغلظة عليهم ؛ لأن كلا من الفريقين يؤدى دوراً مماثلا فى تهديد المعسكر الإسلامى ، وتحطيمه أو تفتيته ، فجهادهم هو الجهاد الواقى من النار ، وجزاؤهم هو الغلظ عليهم من رسول الله والمؤمنين فى الدنيا ، وجهنم فى الآخرة وبئس المصير .

ثم يتحدث السياق عن نساء كافرات فى بيوت أنبياء ، ونساء مؤمنات فى وسط كفار ، والمأثور فى تفسير خيانة امرأة نوح وامرأة لوط ، أنها كانت خيانة الدعوة ، وليست خيانة الفاحشة ، امرأة نوح كانت تسخر منه مع الساخرين من قومه ، وامرأة لوط كانت تدل القوم على ضيوفه وهى تعلم شأنهم مع ضيوفه،والمأثور كذلك امرأة فرعون أنها كانت مؤمنة فى قصره.

والإشارة القرآنية تعنى حقيقة دائمة مستقلة عن الأشخاص ، والأشخاص مجرد أمثلة لهذه الحقيقة : إن مبدأ التبعة الفردية يراد إبرازه هنا ، بعد الأمر بوقاية النفس والأهل من النار ، كما يراد أن يقال الأزواج النبى ﷺ وأزواج المؤمنين كذلك إن عليهن أنفسهن بعد كل شىء ، فهن مسؤولات عن ذواتهن ، ولن يعفيهن من التبعة أنهن زوجات نبى أو صالح من المسلمين .

وهاهى امرأة نوح وكذلك امرأة لوط كانتا فى صحبة نبيين رسولين ليلا ونهاراً ، يؤاكلانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ، ولم يوافقاهما على الإيمان ، وخانتاهما فى الإيمان ، فلم يُجْد ذلك كله شيئا ولا دفع عنهما محذوراً لكفرهما ، وقيل للمرأتين : ادخلا النار مع الداخلين ، فلا كرامة ولا شفاعة فى أمر الكفر والإيمان .

وهاهى ذى امرأة فرعون ، لم يصدها طوفان الكفر الذى تعيش فيه ، فى قصر فرعون ، عن طلب النجاة وحدها ، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتا فى الجنة ، وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه ، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها منه شىء ، وتبرأت من قوم فرعون وهى تعيش بينهم ، ومريم ابنة عمران كانت كذلك مثلا للتجرد لله منذ نشأتها ، ويذكر هنا تطهرها وإيمانها الكامل وطاعتها ، فإن الله بعث إليها جبريل فتمثل لها فى صورة بشر سوى ، وأمره الله أن ينفخ : فيه فى جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت فى فرجها بقدره وشرعه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الله تبارك وتعالى يقبل توبة عباده ويعفو عن السيئات بشرط ترك الذنب ، والندم على ما حدث ، والعزم على عدم العودة إليه مرة أخرى ، وإن كان الذنب فى حق الناس فلابد مع ذلك من رد المظالم إلى أصحابها حتى يسامحوا .

٢ ـ الإيمان أعظم من كنوز الدنيا كلها ومتاعها الزائل .

٣ ـ المؤمن مكلف هداية أهله ، وإصلاح بيته ، وأول الجهد ينبغى أن يوجه إلى البيت .